

يصل بها الفرد إلى ما يقرب من المائة ، وبينما كنت أعد هذه الأقواس أخبرني الجنى أنها كانت في أول أمرها تبلغ الألف عدداً ، ولكن فيضاً هائلاً قد اكتسح معظمها وترك القنطرة على تلك الحالة التهدمة التي كنت أراها

قال الجنى : « أخبرني ما ذا ترى فوق تلك القنطرة ؟ »

قلت : « إنى أرى جموعاً من الناس تسير فوقها وأرى الضباب يكتنف نهايتها » ، ولكنى لما أمنت النظر قليلاً شاهدت بعض الناس يسقطون من أعلى القنطرة إلى الباب المتلاطم تحتهما

وازداد إمعاني فرأيت عدداً من « الأبواب السحورة » أو الفخاخ كان لا يلبث المار إذا مسها بقدمه أن يهوى من خلالها إلى اليم ويذهب إلى غير رجعة . وكانت تكثر هذه الفخاخ عند أول القنطرة ؛ وكان كثير من الناس لا يكادون يظهر من تحت الضباب حتى رأيهم يسقطون من خلالها إلى البحر ؛ غير أنها كانت تقل تدريجياً نحو الوسط ، ولكن لتعود إلى كثرتها عند نهاية الأقواس السليمة

واقد شاهدت بعض الناس يسرون سير القيد الموثق فوق الأقواس التهدمة ، ولكنهم كانوا قليلين ، وما لبثوا أن رأيهم يسقطون الواحد تلو الآخر بعد أن أخذ منهم التعب ، وبلغ من نفوسهم الجهد من جراء هذا السفر الطويل

وقضيت وقتاً غير قصير أتأمل في هذا البناء العجيب وما يحوى من مختلف الأشياء . وتالله لقد بلغ من نفسي أن أرى بعض الناس يسقطون وهم في لحظات سرورهم وفترات انتشائهم ، وكانوا يتعلقون بكل ما قرب منهم علمهم ينجون من هذا السقوط ؛ وكنت أرى غيرهم يهرون في هذا الفرار السحيق بينما كانوا يرفعون أبصارهم نحو السماء في تأمل وتفكير

ورأيت غير هؤلاء جماعة كانوا يلهون سعيًا وراء الحصول على بعض الفقايع الزاهية التي كانت تجلب ألبابهم ، وبينما هم يحسبون أنهم على قاب قوسين منها ، كانوا يهرون في هذا الخضم الزاخر وتبينت من خلال هذا الماء قوماً يحملون في أيديهم نوعاً من السيوف البوار ، بينما كان يحمل غيرهم بعض الغازورات وهم يدفعون بها المارة فيمرون على تلك الفخاخ التي لم تكن في طريقهم

وكثيراً ما أخبرت من قبل أن الصخرة القريبة منى مسكن جنى ، وأن كثيراً من مرورا بها قد سمعوا تلك الألحان الموسيقية ، ولكنى لم أسمع قبل اليوم أن ذلك الموسيقى يظهر للأعين

ولقد أتمش ذهني بأنغامه العذبة وهياً فكرى اسماع محاورته وأنا أنظر إليه نظرة الحائر ، فلما استوثق منى أشار إلى أن أسير إلى حيث يجلس . ولقد اقتربت منه باحترام يليق بطبيعته العلوية ، ولما كان قد تملك قلبي بأناشيده الحلوة فقد ألقيت بنفسى على قدميه وعيناي تذرفان الدمع

فتنظر إلى الجنى نظرة عطف وحنان سرعان ما جعلته أليفاً إلى نفسى ، وسرعان ما بددت تلك المخاوف التي ساورتني وأنا أدنو منه ، ومد يده فرفني عن الأرض وتناول يدي قائلاً : « مرزاً ! لقد سمعتك وأنت تناجى نفسك فاتبعنى »

واقتادنى إلى أعلى صخرة بين تلك الصخور ثم وضعنى فوق أعلى قممها وقال :

— « ول وجهك نحو الشرق وأخبرنى ماذا ترى هنالك ؟ »

قلت : « إنى أرى وادياً مترام الأطراف يخترقه مجرى هائل من الماء »

قال : « إن الوادى الذى تراه هو « وادى الشقاء » ، وإن المجرى الذى يخترقه هو جزء من ذلك المجرى العظيم « مجرى الأبدية » فقلت وما السبب فى أن هذا الجزء من المجرى يخرج فى أوله من خلال ضباب كثيف ثم ينتهى عند آخره إلى ضباب كثيف ؟ قال : « إن ذلك الجزء الذى ترى هو قسم من الأبدية تعبرون عنه بالوقت وتقيسونه بالشمس ، وهو يمثل الحياة من أولها إلى منتهىها »

ثم قال : « أنظر إلى هذا البحر الذى تكتنف الظلمة طرفيه وحدثنى عما ترى فيه »

قلت : « إنى أرى قنطرة كبيرة فى هذا الخضم »

قال : « إن هذه القنطرة ليست إلا الحياة الدنيا ، فانظر إليها بإيمان »

نظرت فرأيتها مكونة من ثلاث حلقات تكون فى مجموعها عشر أقواس ؛ ثم شاهدت إلى جانبها عدداً من الأقواس المحطمة

ترى الطيور الشادية وخزير المياه التدفئة مختلطة بأصوات الناس
وأغنام الموسيقى

ولشد ما أبهج نفسي أن رأيت ذلك المنظر الرائع وتمنيت لو
أنتج لي جناحا نسر فأطير إلى هذا المكان السعيد، ولكن الجني
أفهمني أن لا سبيل إليه إلا سبيل الموت؛ ثم خاطبني قائلاً «إن الجزر
الخضراء التي تراها أمامك والتي تغطي سطح البحر على مد البصر
أكثر عدداً من الرمال التي تغطي شاطئ ذلك البحر، ويوجد
وراء هذه الجزر التي تراها أعداد أخرى لا يصل إليها نظرك ولا
يمكن أن يتسع لها خيالك، وتلك هي مساكن الصالحين بعد الموت،
وهم يحلون بها كل حسب درجة صلاحه، وفيها من ألوان النعيم
ما تشبهه الأنفس وتلذ الأعين. أو ليست تلك الجنان يا مرزا
جديرة بأن يسمى الإنسان إليها؟ وهل تكون الحياة شقية إذا
كانت وسيلة إلى تلك الغاية السعيدة؟ وهل تخشى الموت الذي
يذهب بك إلى مثل هذا النعيم القيم؟ كلا لا تخش الإنسان قد
خلق عبثاً. وكيف يخلق عبثاً من أعدت له هذه السعادة في تلك
الجنة البهيجة؟»

وهنا خاطبت الجني قائلاً: «هل لك أن تطأني على ما تحت
هاتيك السحب التي تحجب القسم الآخر من الأسرار؟ ولما لم
أتلق جواباً عن سؤال درت برأسي لأخاطب الجني مرة أخرى،
ولكني لم أجد أحداً بجوارى، فتلقت ثانية نحو المنظر الذي كنت
أراه أمامي ولكني لم أجد في مكان الموج الزاخر والفتنرة ذات
الأقواس والجنان الخضراء سوى وادي بنسداد الستيل وقد
وقفت الثيران والأغنام والإبل ترمي العشب على جانبه.

محمد الرفيف

فاذا هم فيها يفرقون. ولا رأي الجني أتأمل في هذه المناظر المحزنة
قال «دع عنك هذا فقد أطلت النظر إليه»

ثم قال: «حول نظرك عن الفتنة وانظر هل ترى شيئاً
غيره لا تستطيع أن تفهمه؟»

قلت: «إني أرى جماعة من الطير تحوم باستمرار حول
الفتنة ثم تعود فتسقط فوقها من حين إلى حين. أرى عدداً
من النسور والعقبان والغربان وأرى أشكالاً عجيبية وطيوراً مزعجة
أجسامها آدمية نسوية ولها أجنحة خفيفة، وأرى طائفة من الثلمان
ذوي أجنحة يتجمعون في تراحم حول الأقواس الوسطى»

قال الجني: «إن ما تراه إنما يمثل الحسد والطمع والوساوس
والأوهام واليأس والحب وغيرها من المعلوم والمواطن التي
تحيط بحياة الإنسان»

وهنا تهتت تهتداً عميقاً وقلت: «وأسفاه! إنما خلق
الإنسان عبثاً، فهو فريسة للشقاء والفناء يذوق العذاب في حياته
ثم لا يلبث أن يتلهم الموت»

وتأله لقد أشفق على الجني إذ سمعني أنطق بهذا وأمرني أن
أحول بصري عن هذا المنظر الذي يثير الشجن وخاطبني قائلاً:
«كفى نظراً إلى الإنسان في حياته الأولى إذ يأخذ أهبه إلى
حياة الخلود وانظر إلى هذا الضباب الذي يحمل إليه الموج هؤلاء
الذين يسقطون في اليم»

فقلت نظري كما أمرت، ولست أدري هل زاد ذلك الجني
قوة إبصارى أم هل أزال بسحره جزءاً من ذلك الضباب الذي
كان أكتف من أن تخترقه العين، فقد رأيت الوادي وقد فتح من
نهائيه وتكشف عن محيط واسع تتوسطه صخرة تنقسمه قسمين
متساويين؛ ولقد تجمعت السحب فوق أحد هذين القسمين فلم
أر فيه شيئاً، ولكني رأيت في الآخر محيطاً واسعاً تتناثر فيه
طائفة من الجزر لا عداد لها؛ وكان سطح تلك الجزر مغطى
بأشجار الفواكه والزهور تتخللها غدران صغيرة عديدة،
واستطعت أن أرى أناساً يلبسون غم الثياب وتكامل هاماتهم
الزهور وهم يمشون بين الأشجار أو يجلسون حول النافورات
أو يضطجعون على سرر من الزهر، واستطعت أيضاً أن أسمع

كنا بان حديدان
الموجز في المحدثات
لها خبر كتابه يعلمانك الفرنسية بنفسه
يأعان جميع المطالب من كل صها مجلد